

أمنّا « داكوتا »

« بقية المنشور في العدد الماضي »

... وانطلقت « داكوتا » تسبح في الجو بكبرياء وصلف تهدر محركاتها كالغاضبة ، وتشق بدواليها الهواء شقا ، وألقى ببصرى إلى الأرض ... الأرض التى يعيش عليها إخواننا أبناء البشر ، فإذا بها تتضاءل فى عيني وتصغر . حقاً إن الإنسان حرى بأن يبحث له عن عال أوسع من هذه الكرية الصغيرة ، فإنها ليست عظيمة الشأن إلى ذلك الحد الذى كنا نتصوره ، إنها صغيرة .. صغيرة جداً ، ولكن الذى يجعلها كبيرة فى حسابنا ، عظيمة فى مداركنا إنما هو ما حبانا الله به من نعمة التصور والخيال الذى تقرب به المسافات ونختصر بواسطته الأبعاد ، ولكننا فى الحالات الاعتيادية لاهتمس بهذا ولا نلتفت إليه ، فإذا ما تخلصنا من أسر أمنّا الأرض ، وانطلقنا أحراراً فى أجواز الفضاء فإن سرعة تصورنا وخيالنا تنطلق هى الأخرى أعظم مما كانت وأبعد مدى ، أشهد أن الخيلة الإنسانية على ظهر أمنّا « داكوتا » أوسع قدرة منها على أمنّا « الأرض » .

وانتهت على صوت الطفل الصغير وهو يناغى الركاب وهم يمارحونه ، فإذا بجو الطائرة يزداد بهجة ويملاء السرور وإذا الركاب أسرة واحدة يشتركون فى إحساس واحد ، اتحدت منهم الفروق واضمحلت تلك الأقيسة التى صنعها الإنسان ليفرق نفسه وبقيت فيهم آصرة واحدة ، آصرة أصيلة هى الأخوة الإنسانية العظمى ، وتطلعت إلى أمنّا الأرض من خلال نافذة الطائرة فإذا بنهر الفرات يتلوى كالشعبان متعرجاً يرتقى المرتفعات ويعلو الأكام ، هكذا خالداً منذ الأمد البعيد... وإذا بالمدن تمر من تحتنا فى هدوء... وفجأة رأيت على جناح الطائرة سائلا يجرى حيوطاً متلاحقة .. وفرعت .. لعل خللاً طراً على مخزن البنزين فى الطائرة .. وأرعبتني هذه الفكرة ووقفت عيناى فى

محجريهما تحدفان إلى لاشئ.. كالآبله .. ولفت نظر جارى الانجليزى فلم يعر الأمر اهتماماً ، وأكد لى أنه « لاشئ » ، وكاد روعى يفرخ ، ونفسى تطمئن لتأكيده لولا أنى تذكرت برودة الانجليزى التقليدية المشهورة فقممت أستنجد بالركاب أريهم هذا الذى يسيل على الجناح ففسر الطيار لنا ذلك بأنه إما أن يكون من فعل الأخرى الجوية أو ماءً اندلق على الجناح قبل الرحيل وهدأت النفوس لهذا التعليل فقد كان الطيار بالنسبة لنا نحن الركاب كالطبيب للرضى لا يصدر أحكاماً خاطئة أو مبتسرة ، فهو أب بين أطفال يتلاعب فى عواطفهم كيف شاء ويوجه مشاعرهم حيث أراد ...

هذه دمشق .. صاح أحد الركاب يلفت نظرى إلى أن عاصمة الأمويين تحتنا وتطلعت فإذا المروج تحيط بالمدينة التاريخية العظيمة وإذا بمزارع الحنطة منسقة على أشكال بدعية زاهية تبدو على شكل مربعات ، والمناظر شامخة نحو السماء تعلو الواحدة الأخرى فى اعتزاز وغرر .. وكأنما استغل الطيار فترة الهدنة بيننا وبين اليهود فى فلسطين فبهط بالطائرة قليلاً ليعيننا على الرؤية فإذا الأبنية السامقة العجيبة تبدو وكأنها منقوشة نقشاً تزيينها تلك الطرق الواسعة الفسيحة وهذا السهل المنبسط الذى يحتضن أم المدائن .

وارتفعت الطائرة مرة أخرى فقد أقبلنا على الجبال .. الجبال المجلجلة بالثلوج البيضاء الناصعة كالقطن وباله من منظر ساحر حين تحس بالطائرة ترتفع وترتفع ، خشية أن تصطدم بالقمم الرائعة التى غطتها الثلوج فأصبحت لاتسكاد تبين ، وحين تحد من نظرتك تلك القمم ثم تنفرج بغتة كالستارة المسرحية لتريك منظرأ هو السحر بعينه ذلك